المحاضرة الاولى:

1/مفهوم علم الكلام:

1/1- الكلام في اللغة: يعني الأصوات المفيدة، وهو المعنى القائم في النفس الذي يعبّر عنه بالألفاظ، فيقال في نفسي كلام. وقد وردت عبارة كلام في القرآن بمعاني مختلفة ففي قوله تعالى: "قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي"[1]، وتعني المشافهة. أما في قوله تعالى: "سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله"[2]، فتعني التوراة. لكن الكلام في الآية التالية: " وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله" يراد به القرآن. فالكلام في هذه الآيات لا يخرج عن معنى الكلام المكتوب، توراة أو قرآن، أو مشافهة بين الله و موسى عليه السلام، ولم يشر إلى المناقشة والجدل الدائر حول مسائل الاعتقاد.

2/1 – اصطلاحا: تكاد تتفق معظم التعريفات التي قدمها الفلاسفة وعلماء الدين، على أن علم الكلام من شأنه أن يساعد المسلم على نصرة العقائد الدينية الواردة في الكتاب والسنة بالعقل، وأن يرد الشبه والانحرافات عن هذه العقائد. إذن فموضوع علم الكلام هو دراسة العقائد الإسلاميّة الحقّة والدفاع عنها، مقابل آراء أهل البدع والشبهات.ومنهجه: يستخدم أسلوب المحاججةالكلاميّة[3]، التي تعتمد على الأدلّة والبراهين العقليّة والنقليّة ويعتمد على المنهج الجدليّ، و يعني إسكات الخصم وإفحامه. وغايته: الدفاع عن العقائد الدينيّة، بإيراد الحجج، ودفع الشبهة. ولأن تعاريف علم الكلام كثيرة، فإننا ارتأينا أن نقدم نماذج على سبيل الذكر لا الحصر منها:

تعريف الفارابي: "صناعة الكلام ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرّح بها واضع الملة وتزييف ما خالفها بالأقاويل"[4]. إذن هناك تكامل بين الاكتساب الناتج عن العادة، والمعبر عنه بالصناعة، والفطرة الكامنة في الفرد، وهي القابلية والاستعداد المجبول عليه الفرد، والمعبر عنها

---

[1] سورة الأعراف، الآية:144

[2] سورة الفتح، الآية:15

[3] وهي قدرة الفرد على تفنيد ودحض حجج الطرف الآخر بالأدلة والبراهين الاستدلالية والواقعية وحثه على التخلي عنها، والدفاع في الوقت نفسه عن آرائه وتقديم حجج لإقناع الطرف الأخر بها، وذلك حين يتحاجون حول قضية خلافية.

[4] الفارابي، أبو نصر: إحصاء العلوم، تق، شرح وتبويب : علي بو ملحم، دار و مكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1996 ص86.

بالملكة، وعليه فلا الرغبة والميل لوحدها ولا الاستعداد والفطرة كذلك بمعزل عن الأولى، قادرة على الإبداع وإتقان علم الكلام.

تعريف ابن خلدون: "هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد"[5]. نستخلص من تعريف ابن خلدون أن: موضوع علم الكلام هو العقائد الإيمانية وأصلها التوحيد، وهو بذلك يبعد الممارسات، وانّ حاملي لواء هذا العلم هم أهل السنة والجماعة فقط، وهو بهذا يعتبر باقي الفرق الإسلامية من المبتدعة الذين ما استحدث علم الكلام في الملة إلا لمواجهتهم وردهم إلى عقيدة أهل السنة والجماعة، وهنا تظهر أشعرية ابن خلدون الذي يقصر علم الكلام على الاشعرية دون غيرهم، وهو بذلك يحذو حذو الغزالي (ذو العقيدةالأشعرية) في تعريف علم الكلام[6]. كما خص علم الكلام بالمنهج العقلي[7] دون سواه من المناهج الأخرى، التي نذكر منها:

1- طريقة البرهان الكلامي: ومفادها أن المتكلم يبدأ من أقوال الخصوم ثم يصل عن طريق البرهان إلى نتائج تناقض هذه الأقوال فتبطلها، يعني أن المتكلم يحاول إبطال النتائج فيكون هذا كافيا لإبطال المقدمات التي تقدم بها الخصوم.

2- طريقة التأويل: وفيها يحاول المتكلم تأويل الآيات المتشابهة، والتي تبدو له تناقض رأيه.

---

[5]ابن خلدون (عبد الرحمان): مقدمة ابن خلدون، تح: احمد جاد، دار الغد الجديد، القاهرة، مصر، ط1، 2007، ص428.

[6] يعريف الغزالي علم الكلام بقوله: «حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها من تشويش أهل البدعة.»(الغزالي: المنقذ من الضلال، تح و تق: جميل صليبا و كامل عياد، دار الأندلس، بيروت، لبنان، (د-ط)، (د-ت)، ص91). «فأنشأ الله تعالى طائفة المتكلمين، وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب، يكشف عن تلبيسات أهل البدع المحدثة على خلاف السنة المأثورة فمنه نشأ علم الكلام وأهله»(الغزالي: المنقذ من الضلال، ص92).

[7] حدد ابن خلدون منهج وموضوع علم الكلام بقوله:« بالجملة فموضوع علم الكلام عند أهله إنما هو العقائد الإيمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية فترفع البدع وتزول الشكوك.»(ابن خلدون (عبد الرحمن): مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، لبنان، ط5، 1984، ص466.)

3- طريقة التفويض: وتعني ترك الأمور التي تبدو فوق طور العقل إلى الله، فلو كان العقل قادر على إدراك بعض الأسرار الربانية لكان الإنسان في غنى عن الوحي والأنبياء، وقد جاء الأنبياء بالمعجزات التي يقف العقل أمامها عاجزا ونحن كمسلمين مطالبون بان نؤمن بها.

و"قدأحصى لنا الفارابي جملة من الطرق التي يتبعها، أو يتبع بعضها علماء الكلام على اختلافهم في كتابه " إحصاء العلوم" بدءا بالنص قرآنا وسنة إلى العقل ثم إلى الجمع بينهما إلى غير ذلك من المناهج وصولا حتى إلى إتباع أسلوب الكذب إذا كان في ذلك نصرة للدين بوجه ما. بينما يكتفي ابن خلدون بتحديد منهج واحد ولا ضرورة له شرعية مادام النص فيه الغنية في معرفة التوحيد"[8].

[8] www.exhauss-ibnkhaldoun.com.tn/.../khemissi.htm 2013/10/11 23سا07د